# الفصل الثالث

## السّباعي قائد جهاد

- كفاحه الوطني.
- كفاحه ضد الاستعمار الانجليزي.
- المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي.
- جهاده من أجل فلسطين:
  - جهاد الكلمة
  - جهاد السلاح
  - جهاده بعد توقف القتال.

**كفاحه الوطني:**

رافقت نشأة السباعي منذ الصغر ظروف قاسية مرت بها البلاد.. من استعمار وفساد وتخلّف وجهل ومظالم اجتماعية وسياسية.. وبالرغم من صغر سنه فقد كان متحسّساً هذه المظالم والمآسي، مستشعراً مسؤوليته باعتباره مواطناً يريد أن يرى بلاده حرة مستقلة وقوية. فهب متمرداً، على هذا الواقع السيىء، وقام يجمع زملاءه وأصدقاءه للقيام بعمل لإيقاظ المشاعر وتعبئة القوى، ضد أعداء البلاد، وضد المظالم والانحراف المتفشي، فكان تمرده مبكراً وسابقاً لسنّه، وقد ساعده على ذلك وعي مبكر للأمور، ويقظة وفطنة وإباء ومروءة، ورثها عن آبائه وأجداده..

وكان أول عمل قام به تأليف جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية التي أنشئت بمساعدة وحماية السلطات الاستعمارية أيام الانتداب الفرنسي.. هذه المدارس التي كانت تنفث سمومها في أبناء الطبقة الثرية، وتحبب إلى طلابها الثقافة الغربية، والأخلاق والعادات الافرنجية، وتعمل على إبعادهم عن عقيدتهم وثقافتهم الإسلامية. فعمل على محاربتها، وأخذ يكتب المنشورات، ويعمل على طبعها سراً، ويتولى مع رفاقه توزيعها على الناس، داعياً فيها إلى محاربة الاستعمار ومدارسه ومظالمه، وكان يعقد لذلك الاجتماعات السرية رغم شدة وطأة الأحكام العرفية، التي كانت مفروضة على البلاد. ولم يكتف بالعمل السري، وقام يعلن الحرب على الاستعمار وجرائمه، من فوق المنابر بخطب قوية ومثيرة، ويدعو المصلين في كثير من الأحيان إلى التظاهر

والمقاومة، وكان يسير على رأس هذه المظاهرات الصاخبة، غير عابىء بالأحكام العرفية والإرهاب المفروض على البلاد، مما أزعج السلطات الاستعمارية الحاكمة، والتي لم تر سبيلاً للخلاص منه إلا باعتقاله وزجه في السجن، فألقت عليه القبض لأول مرة عام ١٩٣١ بتهمة توزيع نشرات ضد سياسة فرنسا في المغرب. . ومن هذه المنشورات يتبين لنا أن السباعي رحمه الله، لم يقصر اهتمامه على محاربة المستعمرين في بلاده وحدها، وإنما كان يحاربهم في كل مكان، وفي كل جزء من أجزاء الوطن العربي والإسلامي، فقد كان يرى الوطن العربي وطناً واحداً، والعالم الإسلامي أمة واحدة، يتتبع مشكلاتها في كل يوم، ولم يكن ليقبل ما فرضه الاستعمار على أمتنا الإسلامية من حدود وانقسام. .

واضطر الفرنسيون للإفراج عنه تخفيفاً للهياج الشعبي الذي عقب اعتقاله وهو ابن ستة عشر عاماً، ولكنه رحمه الله، ما إن خرج من السجن حتى عاد أشدّ مما كان حرباً على الاستعمار. . وعاد لإلقاء الخطب الحماسية المثيرة، فعادت السلطات الفرنسية لاعتقاله عام ١٩٣٢ وإلقائه في السجن، وذلك عقب خطاب مثير ألقاه في خطبة الجمعة في الجامع الكبير بحمص، ألهب فيه الشعور، وهيّج الجماهير، واستمر سجنه عدة شهور. .

وعندما أفرج عنه قرّر أن يتابع دراسته وتحصيله العالي، فتوجه إلى مصر عام ١٩٣٣ والتحق بالأزهر الشريف ليتابع دراسته[1].

**كفاحه ضد الاستعمار الانجليزي:**

عندما ذهب السباعي إلى مصر اشترك مع إخوانه هناك في العمل

---

(١) عبدالعزيز الحاج مصطفى: كتاب «مصطفى السباعي رجل فكر. .»، ص٣٦.

الوطني، فتزعم طلاب الأزهر وقاد المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني، مما دعا المستعمرين الانجليز إلى القبض عليه وسجنه عام ١٩٣٤، ثم أخرجوه من السجن..

وفي عام ١٩٤١ اتهمته القيادة البريطانية في مصر بتأليف جعية سرية لتأييد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، ودعوة الشعب المصري للثورة على الانجليز، وأمرت بالقبض عليه ثانية[٢]..

يروي الشيخ مشهور الضامن هذا الحدث الذي شارك فيه فيقول[٣]: «كنا ونحن ندرس في الأزهر نخطب في المساجد ونتكلم ضد الاحتلال الانجليزي.. وبعد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، اتفقنا مع السباعي أنا وهاشم الخازندار وإبراهيم القطان على إصدار بيان للشعب المصري للتعريف بالقضية الفلسطينية، ومهاجمة السياسة البريطانية في فلسطين والمنطقة العربية.. وقررنا توزيعه يوم الجمعة من أسطح المساجد (من الطلاقات). وقام عدد من الشباب بإلقاء البيان على المصلين بعد انتهاء الصلاة بكميات كبيرة..

وثارت ثائرة الانجليز، وبدأوا يفتشون عن الذين خططوا لهذا العمل وقاموا بتنفيذه. وكان أحد المخبرين واسمه «عزت العطار» يحضر إلى الأزهر كطالب ويتابع تحركاتنا وينقل أخبارنا.. وقد اكتشفه الأستاذ محمد علي الطاهر وكتب عنه مقالاً في جريدته «الشورى».

وكنّا نسكن في خان الخليلي.. وبعد ثلاثة أيام من توزيع البيان، دخل علينا في الليل ستة عشر رجلاً من المباحث واعتقلوني واعتقلوا

---

(٢) محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم، ص٣٩٩.

(٣) مشهور ضامن بركات.. مقابلة معه في عمان في ١٩٩٤/١/٦.

السباعي والخازندار والقطان ووضعونا في سجن «التخشيبة» في باب الخلق، وهو أسوأ سجن في مصر، وكان تحت الأرض..

واستدعاني مدير المباحث العامة واسمه (محمد يوسف) وسألني: من أين أنت؟ فقلت: من نابلس.. قال: من بلد محمد علي الطاهر.. لقد عملت معه معروفاً وساعدته على الخروج، فهرب من السجن.. وإن دليتوني عليه أساعدكم على الخروج من السجن. فقلت له: لا أعرف أين هو.. ـ وكنا نلتقي معه سراً في مكان ما قبل دخولنا السجن ـ فأمر بإعادتي إلى السجن..

وانفرد بي الشيخ مصطفى في زاوية من زوايا السجن وسألني عمّا حدث معي.. فرويت له القصة، فقال لي: «اثبت على وفائك» ولا تخبر أحداً عنه لأنه رجل مخلص، وجريدته «الشورى» لها دور كبير في خدمة قضايانا الوطنية..

وبقينا في السجن ثلاثة أشهر.. وتدخل الشيخ المراغي (شيخ الأزهر) في موضوعنا، واتفقوا على أن نخرج من مصر. واستلمتنا السلطات البريطانية في فلسطين.. ووصلنا غزة وبصّمونا، وكان الدم ينزف من أنف السباعي من شدة الحر في ذلك اليوم. وأدخلونا معتقل صرفند مدة أربعة أشهر.

وتدخل أخي الأمير عبدالله الضامن عميد عشيرة المساعيد وكان له منزلة في منطقته، وطلب من المندوب السامي إخراجي من المعتقل.. فأرسل من يخرجني فرفضت إلا مع إخواني الستة الذين دخلوا السجن معي، فاتصلوا بالمندوب السامي فجاء الجواب بالإفراج عنا جميعاً.. وذهب السباعي معي إلى نابلس وبقي عندي يومين ثم سافر إلى الشام».

ولما وصل السباعي إلى الشام قبض عليه الفرنسيون خوفاً من أن يثير عليهم الجماهير من جديد، وأخذوا ينقلونه بين سجون حمص وبيروت، ثم في معتقل «الميّة وميّة» وقلعة راشيا بلبنان مدة سنتين ونصف السنة، ذاق خلالها ألواناً من العذاب الوحشي، والتجويع والأشغال، انتقاماً لمواقفه الشجاعة ولما أشعله في قلوب الجماهير من النقمة على الاستعمار وجرائمه في كل مكان[٤].

ولمّا خرج من السجن عاد إلى ميدان الدعوة إلى الله من جديد وهو أشد إصراراً وأقوى عزيمة.. وشارك في الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي، حتى تم الجلاء عام ١٩٤٥، وعمّت الفرحة أرجاء القطر السوري.

ومن بين الذين التقوا مع الدكتور السباعي أيام الدراسة في مصر، الدكتور عبدالعزيز الخياط، الذي روى ذكرياته عن السباعي في تلك الفترة فقال[٥]:

«عرفت المرحوم الشيخ مصطفى السباعي في القاهرة عام ١٩٤٠، مع زمرة طيبة كانت تجتمع كل أسبوع أو أسبوعين في بيت أحدهم.. منهم الشيخ إبراهيم القطان من الأردن، والشيخ محمد الحامد ونصوح السباعي من سوريا، والشيخ مشهور الضامن وواصف عبده وممدوح الخياط من فلسطين.

وكانت تدور في الجلسة أحاديث علمية، وتطرح قضايا سياسية، وتلقى أشعار، وتقرأ أدبيات يعدّها الإخوة الطلبة ويجري عليها النقاش.

---

(٤) عبدالله الطنطاوي: كتاب «الدكتور الشيخ مصطفى السباعي»، ص١٦.

(٥) الدكتور عبدالعزيز الخياط.. مقابلة معه في عمان في ١٩٩٤/٣/٢١.

وكنّا نستفيد من الطلبة القدامى في الدراسة كالشيخ مصطفى رحمه الله. وكنا نسكن بالقرب من بعضنا، فكان يسكن مع الشيخ مصطفى أخوه نصوح والشيخ إبراهيم الطنجير، وكنت في شقة مجاورة مع الشيخ مشهور الضامن.

وفي عام ١٩٤١ حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني بالعراق، وعلى الرغم من التكتيم الإعلامي عن تطورها فإن أخبارها كانت تصلنا أولاً بأول.. وثارت مشاعرنا باعتبارنا طلاباً عرباً مسلمين، وقررنا أن نعمل من أجل قضية إخوتنا في العراق ضد الاحتلال البريطاني والظلم الاستعماري، وماذا يمكن أن نعمل أكثر من إثارة الشعب المصري وتنويره بما يحدث في العراق لنصرته. وكانت قبضة البوليس المصري والمخابرات البريطانية مشدّدة محكمة، والمطابع والصحف مراقبة، ولم يكن يسمح بطبع منشور أو كتاب إلا بتصريح رسمي من الجهات المسئولة.

وكان الأربعة الكبار: الشيخ مصطفى السباعي، والشيخ إبراهيم القطان، والشيخ هاشم الخزندار، والشيخ مشهور الضامن، ومعهم أحياناً الشيخ محمد الحامد، يكتبون المنشورات التي كنا نقوم نحن صغار الطلبة مثلي ومثل الشيخ واصف عبده بتوزيعها من خلال غرف الطلبة في رواق الشّوام وقت صلاة الجمعة، فكنا نتدلى بواسطة حبل من إحدى الغرف إلى سطح الجامع الأزهر، ونلقي المنشورات من فتحات السقف على المصلين في الركعة الأخيرة من صلاة الجمعة، ثم نرجع إلى الغرفة ونذهب إلى جامع صغير خلف الأزهر دون أن يشعر بنا أحد.

وكان الشيخ مصطفى رحمه الله يكتب هذه المنشورات التي أذكر من عناوينها عنوان: «الشعب العراقي جزء من الأمة الإسلامية، دماؤه دماؤنا،

وحـريتـه حريتنـا» . . وتتـالت المنشورات، وتوالى التوزيع . . أما كيفية طباعتها مع وجود الرقابة الشديدة، فلذلك قصة رائعة بطلها الشيخ هاشم الخـزنـدار، إذ كان يتفق مع صاحب مطبعـة وطني، ومـع أحد حرسها المناوب على أن يلبس ملابسه ويحلّ محله فترة المناوبة، وتستغرق عادة ثلاث ساعات، وتطبع المناشير، ويعود الجندي الحارس، في آخر الفترة، وكـان إذا مرّ ضابط التفتيش به يسأله عن الأمور فيقول له «تمام يا افندم»، وتمر المسألة بسلام، وأعصاب الشيخ الخزندار ثابتة هادئة كالحديد.

وكـان الشيخ مصـطفى (بخـاصـة) على اتصال مع جماعة الإخوان المسلمين ومع الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه، كما كانت صلته بجمعية الشبان المسلمين قوية. وكان يلقي المحاضرات في دور الإخوان وبعض النـوادي والمسـاجـد، وكـانت حرية الكلمـة في مصـر على الرغم من الاحتلال البريطاني أكثر منها في أي بلد عربي.

وفي أواخر سنة ١٩٤١، وبعد أن هدأت ثورة رشيد عالي الكيلاني، أقالت السلطات الانجليزية وزارة علي ماهر باشا وآعتقلته، كما اعتقلت صالـح حرب وزير الدفاع وعبدالرحمن عزام والسيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى، وفرضت الرقابة على شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي . .

وقامت السلطات المصرية باقتحام الشقتين: الأولى يسكنها الشيخ مصـطفى السبـاعي واعتقلتـه، والثانية التي كنا نسكنها واعتقلت الشيخ مشهور الضامن، وتم تفتيش الشقتين، ولم يعثر فيهما على أي منشور. وبعد اعتقال الشيخ مشهور الضامن بيومين، عثرتُ على منشورات كان قد خبّأها في (الفرشة)، فأخرجتها وأحرقتها. ثم داهمت الشرطة رواق الشوام واعتقلت أربعـة من الـطلبـة هم الشيخ إبـراهيم القـطان والشيخ هاشم

الخزندار والشيخ فارس حمدان والشيخ عبدالحي الدويك، كما اعتقل طالب من الكويت هو السيد يوسف مشاري.

وكان بطل الاعتقالات هو أمير اللواء محمد يوسف (واعتقد أنه كان مدير المخابرات آنذاك). وَوُضع المعتقلون السبعة في تخشيبة مقر البوليس في باب الخلق مع المجرمين الذين كانوا يتعاقبون يومياً على هذه التخشيبة. وكانت سجناً مؤقتاً ينقل منه المجرمون إلى السجون الدائمة بعد الحكم عليهم.

وبقي الشيخ مصطفى السباعي وإخوانه المعتقلون خمسين يوماً في التخشيبة، وكنت أنا والمرحوم الشيخ محمد عبده هاشم نؤمّن لهم المأكل للوجبات الثلاث يومياً، فكنا نجمع الدراهم ونقوم بهذا الواجب.

ثم نقلوا بعد ذلك إلى معتقل صرفند في فلسطين، وقضوا فيه مدة وبعد مساعي حميدة تم الافراج عنهم، وعاد الشيخ مصطفى إلى دمشق.

وتوطدت علاقتي مع جماعة الاخوان المسلمين بعد ذلك ومع المرحوم حسن البنا مرشد الجماعة. ولمّا سُمح للشيخ مصطفى بالرجوع إلى مصر والانتساب إلى قسم التخصص العالي للحصول على شهادة الدكتوراة، كان الشيخ مصطفى دائم الحركة والعمل في صفوف الإخوان والجمعيات الإسلامية في مصر، وكان يحاضر ويخطب، وكان أسلوبه أسلوباً حماسياً بالإضافة إلى فقهه وعلمه.

ولمّا عاد إلى سورية أسس جماعة الإخوان المسلمين، وكنت أتابع نشاطه السياسي في سورية وفي البرلمان السوري».

وفي عام ١٩٥٢ قامت معارك دامية في منطقة قناة السويس في مصر بين المستعمر البريطاني والشعب المصري الذي نظم مجموعات مسلحة

من الشباب المؤمن (شباب الحركة الإسلامية) الذين كانوا يغيرون على المعسكرات البريطانية . . وهبّ الدكتور السباعي لنجدة إخوانه في مصر، وقدّم للحكومة المصرية كتاباً يعرض فيه تطوع آلاف من شباب الإخوان المسلمين في سورية للذهاب إلى مصر والمساهمة في معاركها . . فقامت السلطات السورية بالقبض عليه، ووضعه في السجن . . وأصدرت أمراً بحل جماعة الإخوان المسلمين، وكان ذلك في عهد أديب الشيشكلي الذي عمد إلى تسريح السباعي من وظيفته في الجامعة، وإبعاده خارج الأراضي السورية، فذهب إلى لبنان، وبقي فيها حتى انتهى حكم الشيشكلي .

**المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي :**

كان عام ١٩٤٥ موعد الحسم التاريخي للقضية السورية مع فرنسا، بعد أن نقضت هذه عهدها، ومزقت معاهدة الاستقلال التي عقدتها مع ممثلي الشعب السوري في باريس عام ١٩٣٦ فتحركت البلاد تطالب بجلاء المحتل . وردّ الفرنسيون بوحشية تجاوزت كل جرائمهم السابقة، وقامت قواتهم بحملات عدوان وإرهاب وتدمير وتنكيل بالمواطنين والثوار، وخيّم شبح الحرب على البلاد . . ومن هنا كان لا بد من اللجوء إلى السلاح، فانطلقت القوى الشعبية لقتالهم في كل بلد . .

وهبّ السباعي رحمه الله يقود المقاومة المسلحة في حمص ضد القوى الفرنسية، وأطلق الرصاصة الأولى بادئاً هذه المقاومة، وأظهر هو ورجاله بسالة نادرة وشجاعة أذهلت الأعداء وأدخلت الهلع في قلوبهم، وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد . واستمرت المقاومة حتى أتم الله فضله بطرد الأعداء الذين لم يلبثوا أن :

خرجوا في مواكب العار يحدوهم هتاف الهوان والازدراء وعلى الشام

من طيوف مآسيهم بقايا الآلام بعد الوباء[٦].

**جهاده من أجل فلسطين:**

احتلت قضية فلسطين حيزاً كبيراً من حياة السباعي ونشاطه. . فجاهد من أجلها بكل وسيلة أتيحت له في تلك الأيام. . ومن هذا الجهاد:

**جهاد الكلمة:**

كان الأستاذ السباعي يولي قضية فلسطين اهتماماً كبيراً، وكان يعتبرها قضية عقيدة ومقدسات مهددة. . فمنذ خروجه من السجن عام ١٩٤٣ أخذ يعقد الندوات، ويلقي الخطب والمحاضرات، وينبه الشعب السوري إلى الخطر الذي يحدق بالأمة الإسلامية، وما يفعله الاستعمار البريطاني في فلسطين من تمكين لليهود في الأراضي الفلسطينية. .

ولما وصل إلى دمشق الشيخ نمر الخطيب قادماً من حيفا (عام ١٩٤٣) التقى به السباعي وتدارس معه أحوال فلسطين، فحدّثه عن استفادة اليهود من الحرب العالمية الثانية حيث شكلت السلطات البريطانية لهم كتائب تتدرب على القتال، وأمدتهم بالأسلحة والذخائر. . كما حدثه عن أساليب تهريب الأسلحة لليهود، فقد وصلت إلى حيفا خلال سني الحرب صناديق كبيرة باسم بعض المحلات التجارية اليهودية على أنها تحمل أقشمة وسلعاً، فتحطم منها صندوق على الرصيف فإذا به يحتوي على مسدسات وبنادق سريعة الطلقات وغيرها. . وتابع الأستاذ الخطيب كلامه قائلاً: إن الوضع في فلسطين خطير ونحن عرب فلسطين يحظر علينا حمل أبسط أنواع السلاح، والعرب والمسلمون غافلون عمّا

---

(٦) محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم، ص٤٠١.

وحسني جرار: القدوة الصالحة، ص٢١٠.

يبيّت لفلسطين من شر بعد انهاء الحرب العالمية الثانية . . فهل لك أن تعلن صوت النذير والإيقاظ؟ . .

يقول الأستاذ السباعي : وكان حديثاً دمعت له عينانا وعاهدنا الله على أن نبدأ العمل[٧] .

(٧) د. مصطفى السباعي : الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص١٧ .

وواصل الأستاذ السباعي كفاحه من أجل فلسطين، وبدأ يعلن صوت النذير والايقاظ، وألقى أول محاضرة عن فلسطين[٨]، في مقر الإخوان ـ وكان اسمهم يومئذ «الشبان المسلمون» ـ في باحة مسجد الدرويشية بدمشق، وانتهت المحاضرة بحماس من المستمعين خرجوا على إثرها في مظاهرة كبرى تهتف لفلسطين وتدعو إلى العمل من أجلها ـ رغم الأحكام العرفية التي كانت يومئذ معلنة في سورية ـ وقدّم المتظاهرون مذكرة بمطالبهم لرئيس الوزراء.

وانتقل السباعي بعد ذلك إلى جميع المدن السورية وشرح للجماهير خطورة الوضع.. واتهمه الغافلون عن حقائق الأمور في فلسطين بأنه بالغ كثيراً فيما سرده من حقائق.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية أخذ السباعي وإخوانه يعملون لفلسطين في ثلاثة ميادين[٩]:

الأول: الصعيد الرسمي بتقديم المذكرات للحكومة والجامعة العربية.

الثاني: الصعيد الشعبي بالمحاضرات والاجتماعات العامة في المدن والقرى.

الثالث: الصعيد العملي حيث أرسل الإخوان شبابهم ليزوروا فلسطين. ويطلعوا على أحوال اليهود فيها، فزاروا يافا وتل أبيب وحيفا والقدس وبعض المستعمرات اليهودية.

ولمّا كانت كارثة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ إلى دولتين: عربية

---

(٨) نشرتها جريدة القبس السورية كاملة.

(٩) د. مصطفى السباعي: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص١٩.

ويهودية، وهب الشعب في جميع البلاد العربية يطالب بالتطوع في القتال لمنع التقسيم، أخذ الإخوان يعقدون الاجتماعات العامة يبينون خطر الكارثة ورضعوا لذلك ميثاقاً أخذوه على الجماهير بتأليف جيش لتحرير فلسطين يتطوع فيه كل قادر على القتال. وأعلنوا فتح باب التطوع في مراكزهم في جميع أنحاء البلاد، وأقبل الشعب إقبالاً منقطع النظير على تسجيل أسمائهم كمتطوعين في جيش التحرير المرتقب.

ولقد كانت خطب السباعي هي الوقود الذي حرّك الهمم لبذل الأموال والنفوس، حيث كان يتنقل من بلد إلى آخر، يحثّ ويوضح، ويذكّر، فيترك في كل قلب دويّاً، وفي كل بلد نشاطاً قوياً.

### جهاد السلاح:

بعد أن أقبل شباب الإخوان وأبناء الشعب السوري على مراكز التطوع لتسجيل أسمائهم في جيش التحرير. . أعلنت الحكومة السورية قراراً يمنع أية هيئة من تسجيل المتطوعين، ثم اتخذت الجامعة العربية قراراً بتأليف جيش الإنقاذ، وافتتحت الحكومة مراكز للتطوع. . فطلب السباعي منها أن يكون شباب الإخوان منضمين في كتائب خاصة بهم تحت قيادة جيش الإنقاذ فرفضت ذلك. فاندمج شباب الإخوان في كتائب المتطوعين، ولكن ما سارت أفواج المتطوعين إلى فلسطين حتى أرسلوا يستغيثون من الجو الذي يعيشون فيه ويطلبون أن تكون لهم كتائب خاصة بهم ينسجمون فيها مع عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم. .

يقول الدكتور السباعي[١٠]: «وعدنا إلى الإلحاح مرة أخرى في

---

(١٠) د. مصطفى السباعي: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص٢٢.

السماح لشبابنا بتشكيل كتائب خاصة بهم فكان الجواب: إذا أردتم أن تذهبوا في أفواج خاصة فنحن لا نقدم لكم سلاحاً بل يجب أن يكون سلاحكم منكم. . وأخذنا نفتش عن السلاح وكان نادراً وغالياً، واضطرني ذلك لإقامة شهر كامل في محافظة حلب نتجول في كل يوم في القرى المتاخمة للحدود التركية لشراء البنادق والمسدسات، حتى إذا تم لنا تجهيز السلاح لكتيبة كاملة انتقينا من مئات اخواننا المتطوعين في مختلف المحافظات السورية من نعلم خلوهم من عائق القتال في فلسطين واضطررنا للاقتراع بينهم. .

وتم الاتفاق بيننا وبين طه الهاشمي على أن تذهب كتيبة الإخوان في موعد معين إلى معسكر قطنا للتدريب على أساليب القتال. . وبقينا في معسكر قطنا نحو شهر ونصف حتى حان موعد ذهابنا».

السباعي والبنا رحمهما الله في أرض الجهاد يذودون عن فلسطين

ومع كل العوائق التي وضعت في الطريق فقد اندفعت كتيبة الإخوان إلى القدس بقيادة الدكتور مصطفى السباعي، ودخلت فلسطين على دفعتين:

**الفوج الأول** دخل بقيادة الملازم عبدالرحمن الملوحي، والمجاهد عدنان الدبس الذي كان مسؤولاً عسكرياً في مناطق القتال، والمجاهد ضيف الله مراد وكان مسؤولاً عن حفظ الأمن في مدينة القدس ومعه كامل حتاحت وزهير شاويش..

وقد دخل هذا الفوج برفقة المجاهد عبدالقادر الحسيني، وفي اليوم الثاني من وصوله توجه شبابه إلى القسطل عن طريق عين كارم، واشتركوا في المعركة مع الشهيد عبدالقادر وإبراهيم أبو ديّة.. وكانوا في مقدمة المجاهدين.

والفوج الثاني دخل بقيادة الشيخ مصطفى السباعي، ومعه من المجاهدين عزالدين العوف قائد الإخوان في حي المصرارة، ولطفي السيروان وكان مسؤولاً في القيادة عن الاتصال بين المراكز.. ولما وصلوا مداخل القدس كانت معركة النبي يعقوب دائرة فتوجهوا إليها وخاضوها مع الجهاد المقدس.. وكان بينهم مجموعة من المجاهدين الصغار الذين لم تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاماً.

وقد زاد أعداد المجاهدين في الفوجين على مئة وخمسين مجاهداً.. وتوجهت مجموعة منهم بقيادة عدنان الدبس إلى حي القطمون للدفاع عنه ومساعدة المجاهد إبراهيم أبو ديّة.. واستشهد عدد منهم في الحي وثبتوا فيه حتى سقط بيد اليهود، بعد أن اضطر المجاهد أبو ديّة للانسحاب لإصابته واستشهاد أكثر إخوانه..

وانسحب الإخوان إلى مقر القيادة في الروضة، فوجههم السباعي إلى منطقة المصرارة والشيخ جراح للدفاع عنها، وانضم إليهم الشيخ راضي الجوهري مع مجموعة من إخوان نابلس.. ودافع الإخوان عن المنطقة حتى وصلها الجيش الأردني وتسلمها منهم القائد عبدالله التل.

وكان الحي اليهودي في القدس محاصراً، فقام الإخوان والجهاد المقدس وباتفاق مع عبدالله التل بالهجوم على الحي وتطهيره بيتاً بيتاً، وبعد احتلاله تسلّمه الجيش الأردني.

وشارك الإخوان في معارك منطقة القدس، وساهموا مساهمة فعّالة في الدفاع عن الأقصى.. وضرب السباعي وإخوانه أروع نماذج البطولة.. يقول المجاهد عدنان الدبس عن دور السباعي في تلك المعارك[11]:

«كان السباعي قائدنا في جهادنا، وكان مقرّه في الروضة (مركز القيادة في القدس) وكان يزورنا باستمرار في مواقعنا التي ندافع عنها في أحياء القدس، ويشجعنا على الجهاد والثبات، ويمدنا بالذخيرة والسلاح. وكان يشترك معنا في كثير من المعارك، وكان في مقدمة المهاجمين الذين احتلوا الحي اليهودي. وكان رحمه الله عندما تكون هدنة بيننا وبين اليهود لجمع القتلى والجرحى ويطلبون إلينا إرسال قائدنا للتفاوض، كنّا نرسل السباعي لمكانته بيننا ولقدرته على التفاوض».

ويقول الأستاذ إميل الغوري في كلمة له بعنوان «ذكريات من جهاد السباعي» جاء فيها[12]: «.. وفي ليلة ٢ أيار ١٩٤٨، وفيما كانت طلائع المجاهدين تتقدم نحو المستعمرتين الآنفتي الذكر - «عطاروت ونفي يعقوب» - فوجئنا بقدوم عدد من الرجال المسلحين، أكدّ لنا الحرس أنهم من العرب، وأنهم يريدون المساهمة في الجهاد والانقضاض على المستعمرتين، فلما ذهبنا للاتصال بهم، وجدنا أنهم «قوة سورية» مؤلفة من نحو ١٥٠ رجلاً، جلهم من الشبان، يتحرقون شوقاً لخوض غمار القتال. وكان على رأس هذه القوة المرحوم الشيخ مصطفى السباعي، في لباس الميدان متمنطقاً سلاحه للجهاد في سبيل الله. فهلّل المجاهدون

---

(١١) عدنان الدبس.. مقابلة معه في ١٣/٢/١٩٩٤.

(١٢) إميل الغوري: مجلة حضارة الإسلام، الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص١٠٣.

وكبّروا، ورحبوا بإخوان الجهاد أجمل ترحيب.

وقبيل خوض المعركة الخطيرة، حاولنا إبقاء الشيخ مصطفى السباعي في مقر القيادة، وهو بعيد نسبياً عن أرض المعركة، كما سعيت شخصياً «للاحتيال» على الشيخ مصطفى وإقناعه بالبقاء في القيادة للقيام بأعمال خطيرة ومهمة.. ولكنه أبى ورفض وأصر على خوض غمار المعركة، مهما كلفه الأمر، وقال إنه لم يحضر من دمشق إلا بغية الاستشهاد في سبيل الله والوطن.

ولما لم نستطع ثني الشيخ مصطفى عن عزمه، وافقناه على ما يريد، واخترنا مركزاً يشغله وأترابه، ولكنه لم يقبل ذلك، وصمم أن يشترك بنفسه في الطليعة. فكان له ما أراد، فخاض الشيخ مصطفى ورفاقه المعركة ببطولة عظيمة، إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين، وانتهت المعركة بنصر مؤزر للعرب.

وبعد انتهاء المعركة، رجونا الشيخ مصطفى أن يستريح قليلاً فرفض، وعرضت عليه الانتقال إلى القدس للمساهمة في الدفاع عنها، فقال لي: إني لا أقاتل من خلف الأسوار.

وانتقل الشيخ مصطفى ورفاقه، بعد معركة المستعمرات في لواء القدس، وانضم إلى قوات «الجهاد المقدس» في المنطقة الوسطى، متعاوناً فيها مع القائد المرحوم الشيخ حسن سلامة. وظل السباعي يجاهد في فلسطين حتى وقعت كارثة ١٥ أيار ١٩٤٨، فاضطر ورفاقه إلى الانسحاب من فلسطين تنفيذاً لأوامر القيادات العسكرية العربية النظامية وتعليماتها».

**السباعي يطلب ذخيرة**: ويروي الدكتور محمد أمير العرقسوسي جانباً من نشاط السباعي في فترة الجهاد في فلسطين فيقول[١٣]:

عندما كان السباعي وإخوانه يدافعون عن القدس، كان يهاجمهم حوالي ستة آلاف جندي من الهستدروت، ولما قاربت ذخيرتهم على النفاد، ذهب السباعي إلى عمان وإلى دمشق ليطلب ذخيرة..

وفي دمشق اجتمع برئيس الجمهورية، وكان وقتها الرئيس شكري القوتلي، ورئيس الوزراء جميل مردم بك، ووزير الدفاع أحمد الشرباتي، وشرح لهم خطورة الموقف في القدس.. وفي أثناء الاجتماع قال الرئيس القوتلي: فلتفتح مخازن وزارة الدفاع ليلاً، وليأخذ منها السباعي ما يشاء من ذخيرة وسلاح.. وجاءت السيارات ليلاً.. وحملت السلاح والذخيرة وانطلقت، وانطلق خلفها الدكتور السباعي بسيارة صغيرة ومعه الدكتور زهير البيك، الدكتور تيسير طه، والدكتور العرقسوسي (وكانوا طلاباً في كلية الطب).. ودان تيسير طه يدعو ربه أن ينال الشهادة، وبعد وصولهم إلى القدس أُصيب برصاصة استقرت في جبهته فمات شهيداً..

وتابع الدكتور العرقسوسي كلامه وهو يروي هذا الخبر فقال: كنّا نحاصر الحي اليهودي في القدس، وكنا نتوقع أنه سوف يستسلم في أحد الأيام إلا أننا فوجئنا بعد ذلك أنه كانت تصل إلى الحي جميع المؤن الطازجة من فواكه وخضراوات وغيرها باستمرار.. وتبيّن أن الحي كان يتصل بإحدى المستعمرات خارج القدس القديمة بنفق.

---

(١٣) الدكتور محمد أمير العرقسوسي.. مقابلة معه في ١٠/١١/١٩٩٣ والدكتور فايز المط.. مقابلة معه في ٩/١١/١٩٩٣.

أمّا مؤرخ النكبة الأستاذ عارف العارف فقد سجل جهاد السباعي وإخوانه في كتابه القيّم «نكبة بيت المقدس» فقال[١٤]:

«اشترك من الإخوان المسلمين السوريين في حرب فلسطين زهاء أربعمئة أخ.. مئة منهم بقيادة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي، وهو أستاذ في الجامعة السورية. والباقون انخرطوا في صفوف جيش الإنقاذ، وقد استشهد منهم أحد عشر شخصاً، وجرح زهاء خمسين».. ثم قال عن هذه المجموعة المجاهدة[١٥]:

«وجلّهم إن لم نقل كلهم من الأسر المرموقة في سورية، ومن حملة الشهادات المثقفين، اشتركوا في معارك الحي القديم وفي القسطل والقطمون، وفي الحي الأخير هذا استشهد منهم كثيرون».

وبعد دخول الجيوش العربية وإعلان الهدنة المشؤومة اضطر الإخوان السوريون إلى مغادرة بيت المقدس مرغمين بعد أن قدّموا لفلسطين مجموعة من الشهداء الأبرار.

وسلّموا أسلحتهم بمركز الروضة للجيش الأردني الذي أنيط به عملية الدفاع عن القدس.

**جهاده بعد توقف القتال:**

بعد إعلان الهدنة، التي فرضت على القيادات العربية، توقف القتال، وعادت كتائب الإخوان من فلسطين.. وعاد السباعي إلى دمشق يحمل جراحات قلبه.. عاد إلى شعبه وإلى جماهيره، يروي لهم قصة

---

(١٤) عارف العارف: نكبة بيت المقدس، جـ٢، ص٤٣٦.

(١٥) عارف العارف: نكبة بيت المقدس، جـ١، ص٣٢٦.

المأساة الدامية، والنكبة المفجعة والكارثة الأليمة. . يقول السباعي رحمه الله[١٦]:

«كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي وفي أوساط السياسات العربية الرسمية. فتشاورنا في كتيبة الإخوان فيما يجب علينا فعله، بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس، فقرّ رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة، وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض الإخوان خفية إلى القدس مرة ثانية لدراسة ما إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين. وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها التابعة لجيش الانقاذ، حيث تسلمت قيادة جيش الانقاذ أسلحتنا، ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة. .

وقمت بجولة تحدثت فيها عن معارك فلسطين، وألقيت في ذلك محاضرات في كل من دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها في المدن السورية، وذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تماماً، حتى شك بعضهم فيها، ثم انكشف الأمر وتبين صدق ما أدعي عن العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تسيّر معركة فلسطين. . هذا بينما كان فريق من إخواننا المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية لتنفيذ ما اتفقنا عليه». .

ولم يتوقف السباعي عن العمل لقضية فلسطين، فاستمر يذكرها ويذكّر بها في كل مناسبة، وأراد أن يجعلها قضية حية عند الجماهير حتى لا تفتر روح الجهاد من أجلها، والثأر لها، والشعور بالمسؤولية الكبيرة

(١٦) د. مصطفى السباعي: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص٤٩.

تجـاهها، فدعا إلى تخصيص أسبوع من كل عام باسم «أسبوع الخطر الصهيوني» تقام فيه المهرجانات الشعبية في سائر انحاء البلاد السورية، وقـد قرن القـول بالعمل، فبدأ في عام ١٩٥٥ هذا المشروع ودعا قادة الحـركة الإسلامية في الوطن العربي للاشتراك في هذا الأسبوع وطاف معهم في شتى أنحـاء البـلاد يتحـدثون عن الخطر الصهيوني ويقودون المظاهرات الشعبية لمطالبة الحكومات والمسؤولين بإعداد الشعب للمعركة..

وواصل الحديث والكتابة عنها في مجلته «حضارة الإسلام» تحت عنـوان «الـدّرة المغتصبـة».. ومن الكلمـات المؤثـرة التي سجّلها هذا المجاهد الكبير كلمة بعنوان «لن ننساها».. قال فيها[١٧]:

«في حياة الأمم، كما في حياة الأفراد، فترات من الشدة والقسوة يفر منهـا ضعفـاء الإيمـان إلى اليأس، وينهض معهـا أقـوياء الإيمـان إلى العمل.. وجراح فلسطين الدامية التي لم تندمل بعد في جسم أمتكم، إن حملت بعض القـادة والـزعمـاء على إلقـاء السلاح، فإنها يجب أن تحملكم على متابعة النضال والكفاح..

هذه فلسطينكم!.. أضاعتها الأطماع الجائعة، والشهوات الظامئة، والغفلة المسترسلة، والأحقاد الصليبية الكامنة، ولن تكون فلسطين بعد كل هذه المؤامرات إلا لنا.. نحن العرب.. نحن المسلمين.. فلسطين لنا..

يوم تجند في سبيلها العزائم والسواعد.. ويـوم تحشد لها الإمكانيات

---

(١٧) د. مصـطفى السبـاعي: مجلة حضـارة الإسـلام، الأعداد ٤، ٥، ٦، عام ١٩٦٤، ص٢٠٦.

والمواهب.. ويوم نحرسها بالسلاح الشاكي والإيمان اللاهب.. فلسطين لنا.. يوم نعزم أن نرفع رؤوسنا للسماء.. ويوم نأبى أن ننهزم وبأيدينا اللواء.. ويوم نقول «لا» للطغاة الأعداء.. لا تيأسوا.. فاليأس كفر بالله.. لا تترددوا.. فالتردد مفتاح الهزيمة.. ولا تقفوا.. فالوقوف أول الموت..

يا شباب: اذكروا فلسطين.. في يقظتكم ومنامكم. واذكروها.. مغداكم ومراحكم. واذكروها.. في عبادتكم ورياضتكم. واذكروها.. لأطفالكم وأمهاتكم. واذكروها! فهي قلب وطنكم الكبير الواحد.. اذكروها! فهي طريق الإسلام إلى عاصمته «مكة». اذكروها! فهي ثغر جزيرتكم التي يربض فيها «محمد» ﷺ.

يا شباب: اجعلوا لفلسطين ما تملكون من مال، وما ترزقون من مواهب، وما تجدون من وقت، وما تفاخرون به من عرض وعقيدة..

هذا هو طريقكم الجديد إلى وطنكم المفقود».